العرب
السبت 2021/05/15
السنة 43 العدد 12059

فايق جرادة: السينما الفلسطينية تدعو لثقافة الحياة وتنبذ فلسفة الموت

سينما توثيقية تجمع النضال بالحياة والحب والواقع

سينما نضالية وإنسانية تؤمن بالصورة وثقافتها

عرفت السنوات الأخيرة العديد من الأفلام الفلسطينية المميزة التي نجحت في تقديم صور جديدة عن المقاومة والنضال والواقع في فلسطين المحتلة، بشكل أكثر ذكاء ومن خلال قضايا متعددة تبدأ بالهامش وتنتهي إلى رهان الإنسان الفلسطيني على الهوية والأرض والثقافة. لكن هذا القطاع يعرف الكثير من المصاعب وهو ما يحدثنا عنه المخرج الفلسطيني فايق جرادة.

القاهرة – استطاعت السينما الفلسطينية على مدى أكثر من 50 عاما الصمود والتوثيق للثورة الفلسطينية، وقدمت للمشاهدين، منذ انطلاقتها سنة 1965، صورا حية عن معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي من زوايا مختلفة جمعت البعد النضالي بالفني والفكري بالتقني لتقدم أعمالا بأفكار وأطروحات متجددة.

كما أبرزت السينما الفلسطينية بشاعة الممارسات الإسرائيلية بحق الشعب والأرض في فلسطين، وفي الوقت ذاته، سعت لتشكيل الوعي الفلسطيني والعربي، والحفاظ على الذاكرة الوطنية.

الصورة وثقافتها

يقول المخرج الفلسطيني فايق جرادة معلقا على دور الفن السابع "إن السينما الفلسطينية ظلت، بغض النظر عن المد والجزر في عملية الإنتاج وظروف الحالة السينمائية الفلسطينية الموضوعية أو الذاتية، جديرة بالاحترام، كونها نبعت وترعرعت وسط ظروف صعبة جدا معلومة للجميع".

ويتابع جرادة "هي سينما نضالية بامتياز، وكذلك هي سينما إنسانية، موضوعاتها كلها من الواقع الفلسطيني، دمج فيها النضال والحياة والحب والواقع، بفضل مخرجين آمنوا بالصورة وثقافتها، وبالسينما وتأثيراتها وحيويتها وامتلاكها لمفردات متعددة".

ويرى جرادة، الذي أخرج العديد من الأفلام أبرزها "العنصرية" و"ناجي العلي في حضن حنظلة"، أن السينما الفلسطينية كانت دائما وما تزال تقول نعم لثقافة الحياة ولا لفلسفة الموت، من خلال مخرجين أصبحوا أيقونات في إنتاج السينما العربية، وقدموا محاولات من كل أرجاء المعمورة لإنتاج فيلم فلسطيني من أجل فلسطين أرضا وشعبا، فكان تأكيدا على وجود سينما فلسطينية تشارك النضال الفلسطيني بكل مفترقاته النضالية.

ويتابع أن الصورة لم تكن غائبة على مدار العمر الزمني لتاريخ الثورة الفلسطينية "فكنا من أوائل من آمن بالصورة والسينما كأفراد أولا، ثم امتد ذلك في ظل الثورة الفلسطينية، فكانت سينما وثائقية نضالية، حيث تعتبر ولادة السينما الفلسطينية ولادة وثائقية بحكم الواقع، ثم انتقلت إلى المجتمع بفضل المخرج الكبير وفيلسوف السينما الفلسطينية ميشيل خليفة، إلى أن وصلت إلى يومنا هذا".

> فايق جرادة:
> **السينما الفلسطينية حققت نجاحات متعددة رغم كل الظروف، وأوصلت رسائلها إلى كل العالم عبر منتجي أفلام أبدعوا فنيا وجماليا**

ويقول المخرج الفلسطيني إن السينما الفلسطينية اتسمت في العشرية الأخيرة بالحداثة والمنافسة والأفكار الجميلة شكلا ومضمونا.

ويضيف موضحا "صحيح أنها ليست سينما شباك، لكنها سينما تنافس بكل المهرجانات العربية والدولية، وأصبحت الآن سينما ذات سمة جمالية متفردة مليئة بالموضوعات الواقعية والحب والواقع المعاش، ونقدم دائما رسائل مفادها أننا شعب يؤمن بالحرية والاستقلال أسوة بشعوب الأرض، فلدينا الإمكانات والقدرة والأطر والمؤسسات والأرض والشعب التي تؤهلنا لنكون دولة في الكون، الذي أصبح قرية صغيرة بفضل الصورة والسينما والتكنولوجيا".

ويعبر المخرج الفلسطيني عن يقينه بأن السينما الفلسطينية حققت نجاحات متعددة رغم كل الظروف، وأوصلت رسائلها لكل العالم عبر منتجي أفلام أبدعوا بالشكل الفني والجمالي.

ويستدرك قائلا "أستطيع القول إن السينما الفلسطينية الآن جيدة، لكنها ليست جيدة جدا، وهي مقبولة بكل تأكيد في كل المهرجانات العربية وتحصل دائما على جوائز، لكنها بصراحة تحتاج إلى بلورة جهود فردية مؤسساتية وقانونية لتبقى شاهدة على حياتنا اليومية وغير اليومية".

مصاعب إنتاجية

يرى جرادة أن من ضمن معوقات السينما الفلسطينية عدم الاهتمام من قبل النخب السياسية والثقافية والفكرية بالسينما، فهم يعتبرونها ترفا، وهو ما ترك أثرا سلبيا على سير الحركة السينمائية، خاصة في أماكن السلطة الوطنية.

ويشير إلى جهود "تلفزيون فلسطين" كمؤسسة وطنية تحاول استنهاض الحالة السينمائية الفلسطينية واستنهاض الحالة الثقافية بشكلها العام، حيث أصبحت هناك أرضية لمنتجي الأفلام القصيرة وحتى الروائية والمسرحية.

ويضيف أن أهم المعوقات كذلك هو "غياب المال الوطني، حيث أنه لا سينما فلسطينية قادرة على المواجهة والنهوض دون المال الوطني، وأتفهم ظروفنا الصعبة التي نمر بها وتمر بها قضيتنا الوطنية، لكن لا بد من التشجيع لخلق واقع فلسطيني بصري قادر على المواجهة والصمود".

> **الأفلام الفلسطينية نبعت من ظروف صعبة لكن تبقى لها جمالية متفردة مليئة بالموضوعات الواقعية والحب**

ويعتقد جرادة جازما أن وحدها السينما من تستطيع خلق واقع مجتمعي قادر على الاستمرار، ويقول إن الشباب السينمائيين الفلسطينيين تنقصهم فقط المؤسسة الحاضنة لهم أسوة بالدول المجاورة، ويحتاجون لمؤسسة تستطيع أن تدعم وتنتج بدلا من الجدل القائم حتى اللحظة حول هوية الفيلم الفلسطيني، فلا فرق بين منتج وآخر إلا بالإنتاج، لذلك يجب أن تتكاتف كل الجهود من أجل سينما فلسطينية تجسد الهوية النضالية والوطنية لكل الشعب الفلسطيني، وتجسد حلم الدولة الفلسطينية.

وبالنسبة إليه فإن "الفن بكل مقوماته ومكوناته هو شكل من أشكال المقاومة، مقاومة الموت، ومقاومة الاحتلال الذي يسرق التاريخ والمكان والفرح من قلوب الناس، الفن هو الحياة، وفلسطين تنتصر للحياة بأبنائها، فهي الأبقى رغما عن أشكال القهر والطمس، ويجب رفع رايات الحياة في مواجهة رايات الموت، فالصهيونية قبل مئة عام عمدت من خلال الثقافة والشعر والأدب والسينما أن تقنع العالم أنهم يستحقون دولة، ونحن اليوم نحاول الشيء ذاته".

لكن الفرق بالنسبة إليه "أنهم فعلوا ذلك بشكل مؤسساتي، ونحن نقوم به بشكل فردي وننجح سينمائيا بشكل فردي، وفي السنوات الأخيرة كانت هناك لمسات وجرعات سينمائية لمخرجين كبار منهم هاني أبوأسعد ونجوى النجار ورائد أنتوني ورشيد مشهراوي ومؤمن عليان ومهدي فليفل وسعيد أبوجبل وإياد أبوروب وخليل مزين وتحسين مطلق وعرب وطرزان وغيرهم الكثير".

أفلام الهجرة تربط قصبة ماتزارا ديل فاللو بصقلية الصغيرة

صقلية (إيطاليا) – تحت شعار "السينما والهجرة" تنظم جمعية "Ciné – Sud Patrimoine" بالتعاون مع السفارة التونسية في إيطاليا مهرجانا للأفلام عبر الإنترنت تحت عنوان "من قصبة ماتزارا ديل فاللو إلى صقلية الصغيرة في حلق الوادي"، الذي سيقام في الفترة من 15 إلى 22 مايو الجاري.

وقالت مذكرة للمنظمين إن "المهرجان ستتم استضافته على موقع www.cinemaaumusee.org الإلكتروني، مع دخول مجاني لمدة 24 ساعة"، مبينين أنه "حدث سيقدم للجمهور 12 فيلما بما فيها الأفلام الروائية، القصيرة والأفلام الوثائقية، التي أنتجها مخرجون تونسيون وإيطاليون تحدثوا على مدى الثلاثين عاما الماضية عن أهمية وكثافة الهجرات بين إيطاليا وتونس".

وموضوع الهجرة حاضر بقوة في السينما التونسية منذ أكثر من أربعة عقود، ويبدو أنه سيظل كذلك في السنوات القادمة فأعداد المهاجرين، النظاميين منهم كما "الحراقة"، في ارتفاع مستمر، كما تحولت تونس إلى منطقة عبور للمهاجرين، ما مثل مادة دسمة للسينما التونسية وحتى الأوروبية، التي عالجت قضايا الهجرة من زوايا نظر مختلفة.

وقد ساعد الإنتاج السينمائي بين ضفتي المتوسط في فهم أوسع لقضية الهجرة ولجذورها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما كشف عن خفايا العلاقات بين سكان جنوب المتوسط وسكان شماله، بما فيها من تناقض بين القبول بالآخر والارتهان له والتحكم في مصيره.

ومن ناحية أخرى يعبر عنوان المهرجان عن الوجود التونسي منذ القدم في إيطاليا فـ"قصبة ماتزارا ديل فاللو" هي عبارة عن مزارة أسسها الفينيقيون في القرن التاسع قبل الميلاد، باسم "مزار"، ثم تعاقب عليها اليونانيون والقرطاجيون والرومان والوندال والقوط الشرقيون والبيزنطيون، قبل أن يحتلها العرب في عام 827 ميلادي، وأصبحت مركزا مهما للدراسات الإسلامية لتعلم الأدب والشعر والقانون والشريعة الإسلامية، ولا يزال شاهدا في وسطها التاريخي حي القصبة.

والوجود الإيطالي في تونس "صقلية الصغيرة في حلق الوادي" تبينه بشكل لافت رواية دانيال شبيك "صقلية الصغيرة"، والذي أثبت أنه كاتب روائي مهم بتأكيد قدرته على بناء الجسور بين الثقافات.

وتلقي روايته هذه الضوء على الوجود الإيطالي في مدينة حلق الوادي الساحلية التونسية، كما تسرد لنا حدثا تاريخيا غير معروف كثيرا هو الاحتلال الألماني في تونس بين عامي 1942 و1943.

في رواية شبيك ينجو عازف البيانو اليهودي فيكتور بصعوبة من القتل على يد النازيين. كذلك تم إنقاذ ياسمينا ووالديها، ولكنهم فقدوا منزلهم في منطقة حلق الوادي. الحيُّ اليهودي التقليدي ما يسمى بـ"حارة اليهود". وينجو هؤلاء بعد أن أخفاهم معارفهم المسلمون في مدينة تونس.

وأشار منظمو المهرجان إلى أن هذه التظاهرة تحاول رصد "قرن من الزمان من التبادلات بين الشمال والجنوب والعكس بالعكس، والذي بدأ منذ وصول أوائل الصقليين والليفورنيين الذين هاجروا إلى تونس إلى مدينة حلق الوادي، وصولا إلى يومنا هذا".

وذكر البيان أن المبادرة ثمرة أحد مؤسسي جمعية "Ciné – Sud Patrimoine" وهو المخرج التونسي محمد شلوف، والذي يوضح أنه من خلال هذا الاستعراض الفني أرادوا أن يقدموا للجمهور هذا التراث السمعي البصري الثمين الذي تشكل بفضل أعمال المخرجين التونسيين والإيطاليين مثل محمود بن محمود، مارتشيللو بيفونا، ألفة شقرون، ستيفانو سافونا، جوفانّا تافياني، طارق بن عبدالله، جانفرانكو بانون، إيرنستو باغانو وإنريكو مونتالبانو.

ولفت شلوف إلى أن هؤلاء المخرجين "سردوا باهتمامهم وحساسياتهم المختلفة هذه الهجرات من خلال شهادات الأبطال المباشرين"، أي المهاجرين أنفسهم.

> **المهرجان يقدم 12 فيلما افتراضيا بعنوان «من قصبة ماتزارا ديل فاللو إلى صقلية الصغيرة في حلق الوادي»**

ويفتتح المهرجان يوم 15 مايو بعرض موسيقي في مدينة نابولي للثنائي سالفاتور مورا ومرزوق الماجري، سيبث على الهواء مباشرة في متحف سينما الواقع. وبعد ذلك سيتم عرض البورتريه الوثائقي "كلوديا كاردينالي أجمل إيطالية في تونس" لمحمد بن محمود (1994).

وكاردينالي ممثلة سينما إيطالية تونسية وتعتبر أيقونة سينمائية لما قدمته من أفلام عالمية متعددة طيلة مسيرتها، وقد ظهرت كاردينالي في مجموعة من أشهر الأفلام الأوروبية في فترة الستينات والسبعينات، وخاصة الأفلام الإيطالية والفرنسية، لكنها ظهرت أيضا في الكثير من الأفلام الإنجليزية.

وتلقب الممثلة العالمية بـ"أجمل إيطاليات تونس" وتمثل هذه النجمة السينمائية الشهيرة رمزا لروابط الصداقة العميقة التي تجمع إيطاليا وتونس وعمق الصلات بين الشعبين والثقافتين الإيطالية والتونسية لما لهما من تأثير متبادل بينهما.

وتعتبر مدينة حلق الوادي في تونس أحد رموز التسامح، نظرا إلى أنها كانت نقطة تعايش لأتباع ديانات مختلفة منذ زمن بعيد، فتعايش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون، كما تجاورت على أرضها المطلة على خليج تونس أعراق مختلفة، فمثلت في زمن غير بعيد مثالا حيا على التسامح والتعايش والازدهار، فيما تراجعت كل تلك المظاهر في العقود الأخيرة وتراجع دور المدينة، التي تحاول أن تستعيد أهميتها التاريخية وملامحها العريقة من خلال الفن.

السينما جسر للتواصل بين جنوب المتوسط وشماله